السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٠)

لَقَدِ اقْتَرَبَ النُّوْرُ!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أَتَاكُمُ الصَّادِقُ الأَمِيْنُ!

وَحَدَثَ لِلْكَعْبَةِ الشَّرِيْفَةِ حَادِثٌ ما ، جَعَلَ بُنْيَانَهَا يَتَزَعْزَعُ ، حَتَّىٰ كَادَتْ أَنْ تَسْقُطَ عَلَىٰ الأَرْضِ .

فَاجْتَمَعَ كِبَارُ قُرَيْشٍ ، وَتَشَاوَرُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ إِعَادَةِ إِعْمَارِ الْكَعْبَةِ ، واتَّفَقوا علىٰ أَنْ لا يُدْخِلُوا فِيها إلا المَالَ الحَلالَ الطَّيِّبَ .

وَلَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ مَنْ يَجْرُؤ عَلَىٰ أَنْ يَقُوْمَ بِهَدْمِ الْكَعْبَةِ ؟!

لَقَدْ وَقَفَ الوَلِيْدُ بْنُ المُغِيْرَةِ أَمَامَ الْكَعْبَةِ ، وَحَمَلَ المِعْوَلَ ، وَبَدَأَ بِالْعَمَلِ ، وَهُوَ يَدْعُو الله

obeikandl.com

قَائِلاً : اللَّهمَّ إِنَّا لا نُرِيْدُ إلا الْخَيْرَ .

والنَّاسُ يَتَفَرَّجُوْنَ وَيَتَساءلُونَ : هَلْ سَيَمُوْتُ الوَلِيْدُ ؟ أَمْ هَلْ سَيُصَابُ بِمَرَضٍ ما ؟!

لَقَدْ تَابَعَ الرَّجُلُ عَمَلَهُ ، وَنَامَ لَيْلَتَهُ وَلَمْ يُصَبْ بِأَذَىً .

فَقَالَ المُشْرِكُوْنَ : إِذاً إِنَّ اللهَ رَاضٍ عَنْ عَمَلِنَا هَذَا!

وَبِالْفِعْلِ ، نَقَضُوا الْكَعْبَةَ حَجَراً حَجَراً ، ثُمَّ قَامُوا بِالبِنَاءِ مِنَ الأدنَىٰ إلىٰ الأعلىٰ ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَبَرَّعُونَ لِبنَائِهَا...

لِكِنَّ المُشْكِلَةَ الكَبِيْرَةَ في بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ظَهَرَتْ حِيْنَمَا وَصَلُوا إِلَى مَكَانِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ ، فَاخْتَلَفُوا مَنْ سَيَنَالُ شَرَفَ رَفْعِ الحَجَرِ الأسْوَدِ ، وَوَضْعِهِ في مَكَانِهِ ؟!

فَوَقَفَ أَبُو المُغِيْرَةِ زَعِيْمُ بَنِي مَخْزُوْمٍ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَر قُرَيْشٍ! اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيْمَا تَختَلِفُونَ فِيْهِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا المَسْجِدِ يَقْضِيَ بَيْنَكم فِيْهِ ، فَفَعَلُوا .

فَكَانَ أَوَّلَ دَاخلٍ هُوَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ ؛ قَالُوا : لَقَدْ جَاءَكُمُ الصَّادِقُ الأَمِيْنُ ، فَرَضِيْنَا بِمُحَمَّدٍ وَحُكْمِهِ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِم أَخْبَرُوْهُ بِمَا حَدَثَ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « هَلُمَّ إليَّ ثَوْباً » فَأُتِيَ بِهِ ، فأخذ الحَجَرَ الأَسْوَدَ ، فَوَضَعَهُ فِيْهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ بناحيةٍ مِنَ الثَّوْب ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيْعاً » .

فَفَعَلُوا ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ ، وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عليه ، وَبِذَلِكَ

انْتَهَتِ المُشْكِلَةُ الَّتي كَادُوا يَقْتَتِلُوْنَ مِنْ أَجْلِهَا ، وَكَأَنَّ في ذَلِكَ الأَمْرِ دَلِيْلاً علىٰ أَنَّ هَذَا الْيَتِيْمَ سَيَقُوْمُ بحلّ كَثِيْرٍ مِنَ المَشَاكِلِ .

* * *

obeikandl.com

لَقَد اقْتَرَبَ النُّوْرُ

وَهَكَذَا يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ! أَصْبَحَ الوَضْعُ العَامُّ لِلْعَالِمَ مُهَيَّأً لاسْتِقْبَالِ النُّوْرِ القُرْآنِيِّ ؛ لِذَلِكَ ظَهَرَتْ بِشَارَاتٌ رَائِعَةٌ :

فَأَحْبَارُ اليَهُوْدِ أَخْرَجُوا مِنْ تَوْرَاتِهِمْ كُلَّ ما يَتَحدَّثُ عَن الرَّسولِ ﷺ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهُوَ كَعْبُ الأحبار :

نَجِدُ في التَّوْرَاةِ مُحَمْدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يُوْلَدُ بِمَكَّةَ ، وَيُهَاجِرُ إِلىٰ طَابَةَ ، وَيَكُوْنُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ ، وَلَيْسَ بفحَّاشٍ ، وَلاَ صَّخابٍ في الأسْوَاقِ ، وَلا

يُكَافِىء بالسَّيِّئةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَـٰكِنْ يَعْفُو ، وَيَغْفِرُ ، أُمَّتُـهُ الحَمَّـادُون.. يَحْمَـدُونَ اللهَ فـي كـلِّ سَـرَّاءَ وضرَّاءَ ، وَيُكَبِّرونَ الله علىٰ كلِّ نَجْدٍ ، يُوَضِّئون أطرافَهُم ، وَيَأْتَزِرُون في أَوْسَاطِهِمْ ، يَصُفُّوُن في صَلاتهم كَمَا يَصُفُّونَ في قِتَالِهِمْ ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ .

وَكَذَلِكَ كَانَ عُلَمَاءُ النَّصَارىٰ ، حَيْثُ أَخْبَرُوا النَّاسَ : أَنَّه سَيَكُونُ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، تَحَدَّثوا عَنْ صِفَاتِهِ الَّتي وَرَدَتْ في الإنجيل ، فيها : هُوَ رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيْلِ ، وَلا بالقصِيْرِ ، وَلا بِكَثْيرِ الشَّعْرِ وَلا بِقَلِيْلِهِ ، وَلَيْسَ تُفَارِقُ عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ ، وَخَاتَمُ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، واسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَهَذَا البَلَدُ ـ أيْ : مكَّةُ ـ مَوْلِدُهُ ، وَمَبْعَثُه ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ قَوْمُهُ مِنْهُ!!

وَيَكْرَهُونَ مَا جَاءَ بِهِ ؛ حتَّى يُهَاجِرَ إلىٰ يثْرِبَ ، فَيَظْهَر أَمْرُهُ .

* * *

obeikandl.com

أُمُوْرٌ وَأَحْدَاثٌ عَجِيْبَةٌ!!

وَبِالْفِعْلِ حَدَثَتْ في الكَوْنِ أُمورٌ غَيْرُ عَادِيَّةٍ ، مِثَالُ ذَلِكَ حِكَايَةُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ، فَقَدْ كَانَ رَجُلاً مِنْ إِيْرانَ ، يُحِبُّ الوُصُوْلَ إلىٰ الحَقِيْقَةِ ، فَصَاحَبَ الرُّهْبَانَ ، وَالقَسَاوِسَةَ ، وَمَا إلىٰ هُنَالِكَ .

وقَدْ حَالَفَهُ الحَظُّ حيثُ الْتَقَىٰ بِوَاحِدٍ من صَالِحِي الرُّهْبانِ وعُلَمَائِهِم ، ولَمَّا حَانَتْ وَفَاةُ الرَّاهِب ، طَلَبَ سَلْمَانُ مِنْهُ أَنْ يُوْصِيَ بِهِ إلىٰ غَيْرِه ، فَقَالَ الرَّاهِبُ : اعْلَمْ يَاسَلْمَانُ ! أَنَّه لا دِينَ ، وَمَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُه عَلَىٰ دِيْنِ عِيْسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في الأَرْضِ ، وَلَـٰكِنْ

obeikandl.com

هَذَا أَوَانٌ يَخْرُجُ فِيْهِ نَبِيٌّ ، أَوْ قَدْ خَرَجَ بِتهامَةَ ، وأَنْتَ عَلَىٰ الطَّرِيْقِ لا يَمُرُّ بِكَ أَحَدٌ إلا سَأَلْتَهُ عَنْهُ ، فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّه قَدْ خَرَجَ ؛ فَإِنَّه النَّبِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيْسىٰ صَلَواتُ الله وسَلامُه عَلَيْهِمَا ، وَآيَةُ ذَلِكَ : أَنَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ ، وَأَنَّهُ يَأْكُلُ الهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ .

وَمِنْ تِلْكَ القَصَصِ الغَرِيْبَةِ الَّتي حَدَثَتْ مَعَ النَّاسِ قُبَيْلَ مَبْعَثِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مَا قَالَهُ خُزَيْمُ ابْنُ فَاتِكٍ لِعُمرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : ألا أُخْبِرُك بِبَدْءِ إِسْلامِي ؟ بَيْنَا أَنَا في طَلَبِ نَعَمٍ لِيْ ، إِذْ جَنَّ الليْلُ حَتَّىٰ كِدْتُ أَنْ أَهْرُبَ مِنْ شِدَّة الظَّلام ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي : أَعُوْذُ بِعَزِيز هَذَا الوادِي مِنْ سُفَهَائِهِ! وَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِيْ ، فَقَالَ :

عُذْ يَا فَتَىٰ بِاللهِ ذِيْ الجَلالِ

وَالْمَجْدِ والنَّعْمَاءِ وَالأَفْضَالِ

وَاقْـرَأ بِـآيَـاتٍ مِـنَ الأَنْفَـالِ

وَوَحِّـــــدِ اللهَ وَلا تُبَـــــالِ

قال : فَارْتَعْتُ مِنْ ذَلِكَ رَوْعاً شَدِيْدَاً ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إلىٰ نَفْسِي ؛ قُلْتُ مُخَاطِباً مَصْدَرَ الصَّوْتِ :

يَـا أَيُّهَـا الهَـاتِـفُ مَـا تَقُـوْلُ

أَرَشَـدٌ عِنْـدَكَ أَمْ تَضْلِيْـلُ ؟

بَيِّنْ لَنَا ـ هُدِيْتَ ـ مَا العَوِيلُ ؟

فَقَالَ :

هَـذَا رَسُـولُ اللهِ ذُو الخَيْـراتِ

يَدْعُو إلىٰ الخَيْراتِ ، والنَّجَاةِ

يَـأْمُـرُ بـالصَّـوْمِ وَبِـالصَّـلاةِ

وَيَـزَعُ النَّـاسَ عَـنِ الهَنَـاتِ

obeikandl.com

قَالَ : فَاتَّبَعْتُ رَاحِلَتِي ، وَقُلْتُ :

أَرْشِدْنِي رُشْدَاً بِهَا هُدِيْتَا

لا جُعْتَ يَا هَذَا وَلا عَرِيْتَا

وَلا صَحِبْتَ صَاحِبَاً مَقَيْتَا

لا يَثْوِيَنَّ الخَيْر إِنْ ثَوِيْتَا

قَالَ : فَاتبعني وَهُوَ يَقُوْلُ :

صَاحَبَكَ اللهُ وَسَلَّم نَفْسَكَا

وَبَلَّغ الأَهْلَ وَسَلَّم رَحْلَكَا

آمِنْ بِهِ أَفْلَحَ رَبِّي حَقَّكَا

وَانْصُرْ نَبِيَّاً عَزَّ رَبِّي نَصْرَكَا

* * *

obeikandl.com

إِنَّهَا البِشَارَاتُ بسَيِّدِ الأَنَامِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

وَهَكَذَا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ نَقْرَأ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ بَعْضَ الآيَاتِ الَّتي تَدُلُّ عَلى أَنَّ الله تَعَالىٰ قَدْ أَخَذَ عَلَىٰ جَمِيْعِ الأَنْبِيَاءِ عَهْدَاً عَلَىٰ أَنْ يُبَلِّغُوا قَوْمَهُمْ بِأَنَّ هُنَاكَ نَبِيَّاً اسْمُهُ أَحْمَدُ سَيَكُونُ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ ، وفي آخِرِ الأَزْمَانِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى :

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وَبِالفِعْلِ كَانَتْ كُلُّ الأُمُوْرِ تَدُلُّ علىٰ اقْتِرَابِ مَبْعَثِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَإِلا فَلَيْسَ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ يَتَفَشَّىٰ الظُّلْمُ في المجْتَمَعَاتِ ، وَيَنْحَرِفَ النَّاسُ عَنِ العَقَائِدِ الصَّحِيْحَةِ ، و... ،

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٦ـ١٥٧ .

ثُمَّ لا يَبْعَثَ لَهُمُ الله تَعَالىٰ ـ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ـ وَاحِداً مِنْ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

obeikandl.com